

المحاضرة العاشرة: مباحث الأدب المقارن: النماذج البشرية:

المحاضرة العاشرة:

مباحث الأدب المقارن: النماذج البشرية

أهداف الدرس:

يهدف هذا المحور إلى تمكين الطالب من اكتساب رصيد معرفي نظري حول النماذج البشرية في الأدب المقارن. ويتوقع من الطالب في نهاية الدرس أن يكون قادراً على:

✓ تعريف مصطلح "النماذج البشرية" في الدراسات المقارنة، استناداً إلى ما ورد في مؤلفات

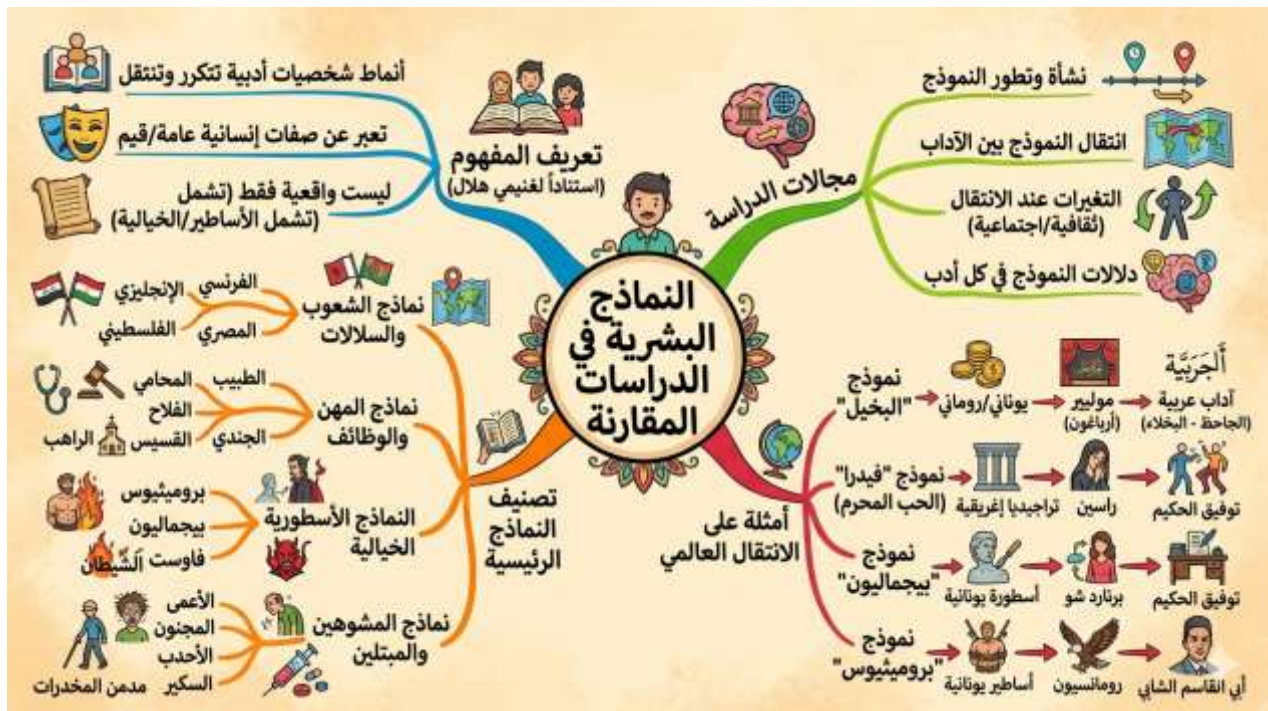
محمد غنيمي هلال ومن جاء بعده من الباحثين.

✓ تحديد مجالات دراسة النماذج البشرية ضمن ميادين الأدب المقارن.

✓ تصنيف النماذج البشرية إلى طوائف رئيسة وفق التقسيمات الآتية :

- نماذج الشعوب والسلالات: الفرنسي، الإنجليزي، المصري، الفلسطيني...
 - نماذج المهن والوظائف: الطبيب، المحامي، الفلاح، الجندي، القسيس، الراهب...
 - النماذج الأسطورية الخيالية: بروميثيوس، بيجماليون، فاوست، الشيطان...
 - نماذج المشوهين والمبتلين: الأعمى، المجنون، الأحمق، السكران، مدمن المخدرات...
- ✓ ذكر أمثلة على نماذج بشرية عالمية انتقلت بين آداب مختلفة، مثل: نموذج "البخيل" من المسرح اليوناني إلى الروماني ثم إلى موليير والآداب العربية - نموذج "فيدرا" (المرأة ذات الحب المحرم) من التراجيديات الإغريقية إلى راسين وتوفيق الحكيم، نموذج "بيجماليون" من الأسطورة اليونانية إلى برنارد شو وتوفيق الحكيم، نموذج "بروميثيوس" من الأساطير اليونانية إلى الشعراء الرومانسيين والعرب أمثال أبي القاسم الشابي.

خريطة ذهنية مفصلة عن النماذج البشرية



نص المحاضرة:

01- مفهوم النماذج البشرية:

يعرف عبد الراجحي في كتابه محاضرات في الأدب المقارن النماذج البشرية في الأدب المقارن بقوله: "النموذج البشري في الأدب هو تقديم صورة متكاملة لشخصية أدبية بحيث تتمثل فيها مجموعة من الفضائل أو النقائص كانت متفرقة من قبل في نطاق التجريد أو في مختلف

الأشخاص ولا يكون للنموذج البشري قيمة فنية إلا حين يستطيع الكاتب أن يجعل منه مثالا حيا غنيا في نواحيه النفسية بحيث يصير أكثر وضوحا مما نرى في المجتمع والأدب المقارن لا يهتم بهذه النماذج إلا إذا صارت علمية أي انتقلت من أدب إلى أدب¹ إذا ما نستنتجه من هذا المفهوم أن "النماذج البشرية" في الدراسات الأدبية المقارنة من المفاهيم الأساسية التي تعنى بدراسة الشخصيات الأدبية التي تتكرر وتنتقل بين الآداب المختلفة، محملة بدلالات ثقافية واجتماعية وفلسفية متجددة. وتتميز هذه النماذج كما يقول محمد غنيمي هلال في كتابه **الأدب المقارن** بكونها "تحتفظ في انتقالها ببعض خصائص كانت لها في الأدب الذي نشأ فيه، وتكتسب مع ذلك خصائص أخرى تبعد بها قليلا أو كثيرا عن منشأها الأول، وقد تكون هذه النماذج إنسانية عامة أو مأخوذة عن مصدر أسطوري أو ديني أو عن تقاليد وطنية وأخيرا قد تكون هي شخصيات تاريخية دخلت ميدان الأدب"²، وبالتالي فالنماذج البشرية كما أوضح هنا غنيمي هلال أنواع يمكن أن نقسمها إلى مايلي:

- نماذج إنسانية عامة
- نماذج مصدرها أسطوري
- نماذج بشرية أصلها ديني
- نماذج مأخوذة من شخصيات تاريخية

¹ - عبده الراجحي: محاضرات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 2007، 35.

² - غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 242.

02- أنواع النماذج البشرية:

أولاً: نماذج إنسانية عامة:

يمكن تعريف النماذج الإنسانية العامة كما يرى غنيمي هلال بوصفها تلك النماذج التي لا يمكن أن يكون مصدرها تاريخي أو ديني وفي هذا يقول "يتعرض الباحث للكشف عن الوسائل الفنية التي صور بها الكتاب في آداب مختلفة نموذجاً إنسانياً عاناً في المسرحيات أو القصص أو الشعر الغنائي ومثل هذه النماذج لا تعد في الأدب المقارن إلا إذا انتقلت تاريخياً من أدب إلى أدب ومن هذه النماذج الإنسانية العامة نموذج **البخيل**"¹ حيث انتقلت هذه الشخصية من أدب إلى أدب وحاكاها مختلف الشعراء والمسرحيين، فالبخيل هو نموذج عام "صوّره الشاعر اليوناني ميناندر وحاكاه الشاعر الروماني بلوتوس في مسرحيته **أولولاريا** أو **وعاء الذهب** ثم ظهر هذا النموذج عند مولير في مسرحيته **البخيل** حيث يظهر أورباجون نموذجاً إنسانياً للبخيل وقد ظهر نموذج البخيل مندجاً في نموذج **اليهودي** في مسرحية شكسبير **تاجر البندقية**"² ولم تقتصر النماذج الإنسانية العامة في الأدب المقارن على البخيل بل ظهرت عدة نماذج أخرى أبرزها **المقامر** و**الموسوس** وفي تاريخ الآداب العالمية نماذج عديدة رأى فيها الباحثين خصائص مشتركة يمكن أن تشكل نماذج إنسانية عامة "وعلى هذا الأساس درس بعضهم نماذج الشعوب والسلالات البشرية أو المهن والوظائف مثل الكاهن والأستاذ والطبيب والجناد والطلاغية وبائعة اللبن والفلاح والوصيفة والخادم والبغي والقواد أو

¹ - غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 243.

² - عبده الراجحي: محاضرات في الأدب المقارن، ص ص 35-36.

الطبقات الاجتماعية والمنازل الخلقية مثل الفارس والعانس أو المشوّهون أو المبتلون جسميا أو خلقيا كالأعمى والمقامر.¹

ثانيا: نماذج بشرية مأخوذة من الأساطير:

يرى عبده الراجحي في كتابه سابق الذكر أن النماذج المأخوذة من الأساطير هي عبارة عن "شخصيات، والنموذج البشري الأسطوري هو الذي يستطيع الكاتب أن يحوله إلى رمز فلسفي أو اجتماعي وذلك كشخصية أوديب في مسرحيات اسخيلوس وسوفوكليس وتوفيق الحكيم"² والأسطوري عموما يختلف عن الخرافي ويختلف كذلك عن الحكيم والقص وقد اختلف الباحثون في وضع تعريف موحد للأسطورة نظرا لتنوعها واختلافها من ثقافة إلى أخرى فقد ذهبوا كما يقول أسامة أبو العباس في مقاله من ملامح الخيال الشعبي في التراث العربي "في تعريفها مذاهب شتى، فمنهم من رأى أنها "فكرة بدوية تاريخية صيغت بصيغة الإطناب والمغالاة؛ لإظهار أهمية الحادثة الحقيقية في جيل زال أثره من ذهن الناس"، وأنها "التاريخ في صورة متحركة ثم تحولت إلى أسطورة، فهي في الأصل كانت تاريخا وواقعا ثم تحولت إلى أسطورة ومنهم من عدّها حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشف عن معان ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان" وهي من حيث الشكل قصة، وتحكمها مبادئ السرد من حبكة وعقدة وشخصيات وما إليها"، ومنهم من نظر إليها على اعتبار أنها "تجربة وجودية ترمز إلى واقع مقدس يدرك الإنسان من خلاله عالم الغيب أي أنها

¹ الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1987، ص363.

² عبده الراجحي: محاضرات في الأدب المقارن، ص32.

أصبحت رمزا يكشف عن كيفية التطور العقلي لدى الشعوب أو الجماعات، وتدل على الرواسب النفسية والثقافية التي تغلغت في تلافيف العقل البشري وتوارثتها الأجيال¹.

من بين الشخصيات التي تحدث عنها غنيمي هلال واعتبرها شخصية تنتمي إلى النماذج البشرية الأسطورية هي شخصية **بيجماليون** و**بيجماليون** هو "فنان من قبرص هام بجمال تمثال من صنعه فرجا أفروديت أن يتزوج من امرأة تشبه التمثال ففعلت أكثر من ذلك إذ وهبت التمثال نفسه الحياة عقابا له على إغراضه عن الزواج ويرمز بذلك إلى هيام الفنان بخلقه القني وأول من تحدث عنه في الأدب هو أوفيد الروماني في قصصه في المسخ ثم تناولها شعراء و أدباء من مختلف الآداب وخاصة من الإنجليز،² وقد تأثر أيضا توفيق الحكيم بهذه الأسطورة وألف مسرحيته المشهورة **بيجماليون**.

ثالثا: نماذج بشرية أصلها ديني:

من بين أبرز هذه النماذج التي عرفها الأدب والتي رسختها عدة ثقافات خصوصا الثقافة العربية والفارسية هي نموذج **يوسف وزليخا** وهذا النموذج مأخوذ من الكتب المقدسة خصوصا القرآن الكريم الذي خصص فيه الله عزا وجل سورة بأكملها عن النبي يوسف وعن الشغف الذي أصاب امرأة العزيز عندما رأت فيها يوسف ووقعت في حبه، وقد انتقلت هذه القصة بين مختلف الثقافات وخصوصا الفارسية والتركية " صور هاتين الشخصيتين أي يوسف وزليخا في الأدب الفارسي شاعران

¹ - أسامة أبو العباس: من ملامح الخيالي الشعبي في التراث العربي أنموذجا، رسالة المشرق، جامعة القاهرة، م37، ع1، 2022، ص ص 8-9.

² - غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 246.

هما الفردوسي المتوفي سنة 1021م بلغ بالشخصيتين قمتهما الفنية في التصوير الأدبي الشاعر الفارسي الآخر عبد الرحمان الحامي المتوفي سنة 1492 م وقد بعدت هاتان الشخصيتان قليلا عما نعرفه من القرآن¹.

لم تقتصر النماذج المأخوذة من ماهو ديني على هذين الشخصيتين بل عرف الأدب العالمي شخصية مقتبسة من النصوص الديني ومختلف الديانات والكتب المقدسة وهي شخصية الشيطان أو ما يعرف بفأوست، فالشيطان مثلا في ثقافتنا العربية كانت صورته مستمدة من تلك الرؤى التي وُصف بها في القرآن الكريم، أي أن صورته ترتبط بالتمرد والكفر وعدم اتباع أوامر الله خصوصا عندما أمره أن يسجد لآدم فرفض وقال كما جاء في قوله عزا وجل "أنظرنني إلى يوم يبعثون"، ولكن عندما انتقلت صورة الشيطان إلى الأدب تغيرت ولم تعد تحمل المدلول نفسه الذي ارتبط بالنصوص المقدسة وخصوصا القرآن الكريم "حظيت شخصية الشيطان باهتمام أكبر في العصر الحديث وعلى يد الرومانسيين بخاصة وفي مقدمة من اتخذها نموذجا الشاعر الانجليزي ميلتون في الفردوس المفقود وجعل من الشيطان حامل آرائه وصور من خلاله نزعته إلى الحرية والاستقلال والاعتماد على الحجة وقوة شخصية الفرد إزاء القوى التي تفوق قوته"² وبعد ميلتون ظهر الشيطان بقوة في أشعار الرومانسيين وبطبيعة الحال في صورة تختلف تماما عن التمرد الذي عرفت به هذه الشخصية، فقد

¹ - غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 249.

² - الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ص 365.

صوره في صورة المتمرّد الذي طرد قهرا من عالم الخير فدفعه اليأس إلى الإدمان على الشر"¹
وبالمختصر يمكن أن نلخص صورة الشيطان عند الشعراء والكتاب والمسرحيين كالتالي:

✓ عند الشاعر بيرون يجعله يستمع إلى قابيل يقول له لماذا أنا موجود؟ ولماذا أنا بئس؟ ولم كانت كل الموجودات كذلك؟

✓ عند فيكتور هوغو يمثل الانسانية الطريدة البعيدة من الله وينحصر كل عذابه في حبه لمن ييغضه، وما يسببه الشيطان من صراع بين الخير والشر هو أساس ما يظفر به الانسان من حرية وفوز حتى ينتصر في الزمن البعيد للخير انتصار تاما.

✓ في الأدب العربي عرف العقاد في قصيدته الرومانسية "ترجمة شيطان" التي حاول تصوير فيها شيطان حاول أن يتوب لأنه سئم من الشياطين ويقبل اله توبته لكن فيما يعود يسئم ويرجع لعاداته وأصله وهي صورة مأخوذة من القرآن ومن آياته.²

رابعا: نماذج بشرية مأخوذة من شخصيات تاريخية:

تتميز هذه النماذج بكونها شخصيات مستمدة من الواقع لكن عندما انتقلت إلى الأدب تم إضفاء الطابع الأسطوري عليها ولذا انتقلت من ثقافة إلى ثقافة متجاوز الحدود القومية ومن بين أشهر هذه الشخصيات في الثقافة العربية شخصية المجنون وليلى أو ما يعرف بقصة مجنون ليلى أو قيس وليلى وهي واحدة من أشهر القصص العاطفية والتراجيدية في التراث العربي. تروي

¹ - غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 250.

² - ينظر: غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 251-252.

القصة حب قيس بن الملوّح من بني عامر لليلى العامرية، وكيف تحول هذا الحب إلى هوس وجنون وقد انتقلت هذه القصة أيضا إلى الأدب الفارسي، ولم تقتصر النماذج المأخوذة من التاريخ في ثقافتنا العربية على قيس فقط بل احتفت الثقافة العربية بالعديد من النماذج أبرزهم عنتر بن شداد الشاعر العربي المعروف ببسالته وقوته "ما إن مات عنتر حتى أخذت الأساطير تنسج من حوله وتضعه في صورة تجعل منه المثل الأعلى للفارس الكامل والشاعر الفذ والعاشق العفيف، وضخمت الأساطير عنتر الحقيقي فجعلت سواده حالكا... ومع الزمن تضخمت الأسطورة ونشأ في الأدب العربي وفي مجال الخلق والفضيلة ما يسمى بالعنترية"¹.

أما في الثقافة الغربية فقد ظهر العديد من النماذج البشرية التي أصلها تاريخي ولعل أشهر هذه الشخصيات هي شخصية كليوبترا وشخصية روميو وجوليت، فيما يخص كليوبترا لقيت حظا كبيرا ووافر في الأدب نظرا لأهميتها التاريخية "ذلك لأنها عاشت في فترة تاريخية خطيرة وكان صراعها مع أكتافيوس متعاونة مع أنطونيوس ولعبت كليوبترا دورا كبيرا في هذا الصراع بجمالها الذي أوقع القائد الروماني في حبها والحب عاطفة فردية لكنه في شخصية كليوبترا تمخض عن نتائج خطيرة وطنية وعالمية"²، ومن بين أبرز الأدباء الذين كتبوا عن هذه الشخصية هو شكسبير فقد كتب مسرحية تحت عنوان أنطوان وكليوبترا وهي مسرحية تراجيدية تدور حبكتها حول العلاقة العاطفية بين مارك أنطونيو أحد حكام الجمهورية الرومانية، وكليوباترا ملكة مصر تنتهي المسرحية بوفاة العاشقين إثر

¹ الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ص 375.

² غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 256.

صراع سياسي وعاطفي، وقد اختلفت صورة كليوبترا في الثقافة الغربية عن نظيرتها العربية ففي غالب الأحيان في الأدب الغربي كان يتم تصوير كليوبترا كما يقول غنيمي هلال "صورة للعقلية الشرقية في نظرهم وفي ميلها إلى لذة العيش ومتاعه والانتصار بالخدعة لا بالجهد وسلوك سبيل المكر والحيلة وطالما هاجموا الشرق فيها"¹ وقد كتب أحمد شوقي مسرحية بعنوان مصرع كليوبترا حاول فيها كسر تلك الصور النمطية التي رسمها الأدب الغربي عن هذه الشخصية فقد حاول في هذا العمل الفني كمال يقول غنيمي هلال رد الاعتبار لهذه الشخصية والدفاع عنها "فقد قدمها في صورة المخلصة لوطنها وتوثره على حبيبها وتحيا وتموت لمجد مصر"².

أسئلة التقويم الذاتي:

- ❖ اختر شخصية رئيسية من فيلم أو رواية حديثة، وحاول تحديد أي من النماذج البشرية القديمة (المحارب، العاشق، المهرج، الحكيم) تتجسد فيها، مع ذكر الدليل.
- ❖ كيف تحول نموذج "البطل" من كونه مخلوقا خارقا للطبيعة (مثل هرقل) إلى إنسان عادي يعاني من الهشاشة النفسية في الأدب الحديث؟
- ❖ عد لمسرحية مصرع كليوبترا وقدم قراءة لها مبينا صورة هذه الشخصية في المسرحية؟

¹ - غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 257.

² - غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص ص 257-258.